خطبة جمعة مفرغة

بعنوان

(عُلو المرتبة في اقتحام العقبة)

الجزء الأول

لشيخنا المبارك أبي بكر الحمادي

حفظه الله ورعاه

سجلت بتاريخ ١٦ صفر ١٤٤٥ه

بمسجد آل عمران القاهرة جمهورية مصر العربية

حرسها الله وسائر بلاد المسلمين

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ} [آل عمران: 102].

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} [النساء: 1].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} [الأحزاب: 70-71]

أما بعد:فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وآله وسلم،وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة.

يقول سبحانه وتعالى في كتابه الكريم :{ فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12)فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14)يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18)}[البلد:11،18].

فحث ربنا سبحانه وتعالى في هذه الآية المباركات على اقتحام العقبة، وعظم الله سبحانه وتعالى بشأنها فقال : وما أدراك ما العقبة، وهذا من باب التعظيم من شأنها كقوله سبحانه وتعالى :{الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2)وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ (3)}[الحاقة:1،3].

قال :{إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ (1) وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ (2)}

[القدر:2،1].

إلى غير ذلك من الآيات، ففي هذا تعظيم لأمر العقبة، والعقبة على أصح أقوال علماء التفسير المراد بها: العقبة الحسية، العقبة الحسية وهي الجسر المضروب بين ظهراني جهنم يمر عليه الناس، فمن ناج ومن ساقط في جهنم والعياذ بالله، فهي عقبة عظيمة لا نجاة للمسلم إلا إذا تعداها وتجاوز تلك العقبة، فمن تجاوز العقبة فقد أفلح وفاز ونجا من عذاب الله عز وجل، فالعقبة شأنها عظيم، ولهذا عظم الله سبحانه وتعالى بشأنها في هذه الآية فقال: وما أدراك ما العقبة وهي الجسر والصراط الممدود على ظهراني جهنم، وهو مزلة مدحضة كما جاء في حديث أبي سعد في الصحيحين وفي غيرهما عن رسول الله عليه الصلاة والسلام مزلة مدحضة، وفيه خطاطيف وكلاليب وشوكة مفطحة عظيمة، وتلك الكلاليب والخطاطيب تخطف الناس بأعمالهم، فمن ناج مسلم، ومن مخدوش، ومن مكردس في نار جهنم والعياذ بالله، وهذه العقبة التي ذكرها رب العالمين سبحانه وتعالى بينها النبي عليه الصلاة والسلام في أحاديث متعددة، كالحديث الذي ذكرناه، وهو حديث سعيد الخدري رضي الله عنه، وجاء في حديث عائشة وفي حديث أبي هريرة وفي غير ذلك من الأحاديث أن الصراط أدق من الشعرة وأحد من السيف، فاجتمعت فيه تهاويل عظيمة، واجتمعت فيه أمور عظيمة، كونه بهذا المقدار أدق من الشعرة وأحد من السيف، وكونه أيضا مزلة مدحضة أي لا تثبت عليه الأقدام، وكونه في ارتفاع عظيم، فإنه ممتد من أرض المحشر إلى الجنة، وكونه أيضا بين ظهراني جهنم، فأسفل منه نار جهنم والعياذ بالله، وهو أيضا في ظلمة شديدة، الجسر في ظلمة شديدة وإنما يستضيء المؤمنون بأنوارهم التي جعلها الله سبحانه وتعالى فيهم، وهي من آثار أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا :{يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ

نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ
وَبِأَيْمَانِهِم} بسبب أعمالهم الصالحة التي قاموا بها من توحيد الله عز وجل، ومن الحفاظ على فرائض الله عز وجل ومنها هذه الصلوات المكتوبات، فالمتأمل في الأحاديث الصحاح الثابتة عن رسول الله عليه الصلاة والسلام في شأن الصراط يعلم أن ذلك من الأمور المهولة، ومن الأمور العظيمة، وإنما ينجو العبد على قدر عمله، كما جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الدارقطني في كتاب الرؤيا أن الله عز وجل يقول للناس انجوا بقدر أعمالكم، فمن كان سريعا في الطاعات مسارعا في مرضاة الله عز وجل سباقا في الخيرات هكذا يكون في الصراط، ومن كان بطيئا في الدنيا في سيره إلى الله عز وجل كان بطيئا في سيره على الصراط، ومن كان في الدنيا يستقيم على دين الله وينتكس فهكذا في الصراط، تارة يسير سيرا مستقيما، وتارة ينتكس، ومن كان تارة يمسك بأمور الإسلام وتارة يتفلت منها هكذا هو على الصراط تارة يمسك بيديه على الصراط وتارة تزل به القدم يكاد أن يسقط فيمسك بيديه عن الصراط ثم يرجع إليه وهكذا، فينجو الناس على قدر أعمالهم، انجوا على قدر أعمالكم، فهي عقبة عظيمة فلهذا عظم الله سبحانه وتعالى من شأنها في هذه السورة المباركة، فقال سبحانه وتعالى: فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، ثم بين رب العالمين سبحانه وتعالى كيف يقتحم الإنسان العقبة، والاقتحام المراد بأن الإنسان يدفع نفسه إلى الشيء دفعا فإن تلك العقبة مخوفة فيحتاج الإنسان أن يدفع نفسه إليها دفعا، وهكذا الأعمال الصالحة في الدنيا يحتاج الإنسان أن يدفع نفسه إليها دفعا، فإن هنالك من يصد الناس عن الأعمال الصالحة وعن الطاعات من شياطين الجن والإنس، ومن النفس الأمارة بالسوء، ومن جلساء السوء، وإلى غير ذلك، فيحتاج الإنسان أن يدفع نفسه دفعا

في مرضاة الله عز وجل، فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة، ثم بينها رب العالمين سبحانه وتعالى أي بين اقتحامها فقال : فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة، هذا هو اقتحام العقبة، إن أردت أن تنجو من تلك العقبة العظيمة فلا تهلك مع الهالكين، ويثبتك الله سبحانه وتعالى في سيرك على الصراط فاقتحم تلك العقبة في الدنيا، في الدنيا بالأعمال الصالحة فإنك تنجو في الآخرة من تلك العقبة بقدر أعمالك التي عملتها في حياتك الدنيا، فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة، والمراد بذلك اعتاق العبيد، فإن ذلك من الأعمال الصالحة ومن القربات العظيمة التي يحبها رب العالمين سبحانه وتعالى، وفي هذه الأزمان لا يكاد يوجد ذلك وربما إن وجد فهو في أندر النادر، وهنالك أعمال صالحة بمثابة عتق الرقبة بينها النبي عليه الصلاة والسلام في صحيح سنته، فجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"مَن قالَ: لا إلَهَ إلَّا اللَّهُ، وحْدَهُ لا شَرِيكَ له، له المُلْكُ وله الحَمْدُ، وهو علَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيرٌ، في يَومٍ مِئَةَ مَرَّةٍ؛ كانَتْ له عَدْلَ عَشْرِ رِقابٍ، وكُتِبَتْ له مِئَةُ حَسَنَةٍ، ومُحِيَتْ عنْه مِئَةُ سَيِّئَةٍ، وكانَتْ له حِرْزًا مِنَ الشَّيْطانِ يَومَهُ ذلكَ حتَّى يُمْسِيَ، ولَمْ يَأْتِ أحَدٌ بأفْضَلَ ممَّا جاءَ به، إلَّا أحَدٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِن ذلكَ.

فبين النبي عليه الصلاة والسلام أن من حافظ على هذا الذكر العظيم فهلل وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومه مئة مرة فكأنما أعتق عشر رقاب مع ماله من الفضل العظيم يكتب الله سبحانه وتعالى له مع ذلك مئة حسنة، ويمحو الله سبحانه وتعالى عنه مئة سيئة، ويكون هذا الذكر حرزا له من الشيطان، لا يستطيع الشيطان أن يتعرض له بسوء من صباحه إلى أن يمسي، ولم يأت أحد بعمل أفضل من هذا العمل إلا من

زاد على هذا العمل، من عمل هذا العمل وزاد عليه.

فيا معاشر المسلمين : حافظوا على مثل هذا الذكر وعلى غيره من الأذكار المشروعة التي دل عليها كتاب الله ودلت عليها سنة رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وهكذا روى الإمام أحمد في مسنده، والترمذي في جامعه من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:"من منحَ منيحةَ لبنٍ أو ورقٍ أو هدى زقاقًا كانَ لهُ مثلُ عتقِ رقبةٍ.

من منح منيحة ورق والمراد بالورق "الفضة" والمعنى من أقرض قرضا حسنا لمن احتاج إليه فذلك مثل عتق رقبة كأنك اعتقت رقبة في مرضاة الله عز وجل، إذا أقرضت محتاجا قرضا حسنا ليس فيه محذور شرعي فكأنما اعتقت رقبة، وهكذا من منح منيحة لبن أي أعطى شاة له لفقير ومحتاج من أجل أن ينتفع بلبنها كأنما اعتق أيضا رقبة، وهكذا من هدى زقاقا قيل المراد بذلك هدى ضالا في طريقه، فالزقاق الطريق أي هدى ضالا في طريقه وأرشده إلى مطلوبه فكأنما أعتق رقبة، وإذا كانت الهداية إلى طريق الآخرة فذلك أعظم وأعظم، وقرأت حذى بالتشديد حتى رقاقا، وجاء في بعض الروايات أهدى زقاقا بمعنى أهدى شيئا من النخيل، وبعض النخيل للفقراء والمساكين من أجل أن ينتفعوا بثمارها فكأنما أعتق رقبة. فكأنما أعتق رقبة، فإعتاق الرقاب شأنه عظيم عند الله عز وجل، وهكذا الأعمال التي هي بمثابة عتق الرقبة شأنها عظيم، وكل ذلك من اقتحام العقبة التي عظم من شأنها رب العالمين سبحانه وتعالى، أي قوله: فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة، ثم ذكر الأمر الآخر وهو إطعام المحتاجين من الفقراء والمساكين ومن اليتامى في وقت اشتد فيه الجوع، فإن السغب هو الجوع، أو إطعام في يوم ذي مسغبة أي اشتد فيه الجوع أطعم من قال يتيما ذا مقربة، أي أطعم

يتيما من أقربائه، من أرحامه، أو مسكينا ذا متربة أطعم مسكينا بلغت به الحاجة والفقر إلى أنه لا يجد غير التراب، ذا مترب مرقده التراب ويمشي على التراب لا حذاء له يقيه من التراب، وليس له فراش يقيه من التراب أي اشتد به الجوع، واشتدت به الحاجة فأطعم هؤلاء فإن من فعل ذلك فقد اقتحم العقبة التي عظم الله سبحانه وتعالى من شأنها، فإطعام اليتامى وإطعام المساكين إطعام اليتامى ولا سيما من كان من الأرحام والإحسان إليهم عمل عظيم، وهكذا إطعام المساكين ولا سيما من اشتدت حاجته واشتد فقره فذلك من الأعمال العظيمة ومن القربات العظيمة التي يتقرب بها العبد إلى رب العالمين سبحانه وتعالى، وربنا سبحانه وتعالى يقول في ذم بعض الناس قال :{ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (30) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (31) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (32) إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ (33) وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (34)}[الحاقة:30،34].

قال :{ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ (17) وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (18)}[الفجر:17،18]

وقال :{أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ (1) فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ (2)} أي يقهر اليتيم { وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ (3)}[الماعون:1،3].

فأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالحق على طعام المسكين، وأمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالإحسان إلى اليتامى،{ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (38) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (39) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (40) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (41) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (42) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (43) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (44)}[المدثر:38،44].

فكانوا من أهل سقر حين لم يكونوا من المصلين، ولم يكونوا ممن يطعم المسكين، لم يحسنوا في عبادة الله عز وجل، ولم يحسنوا إلى عباد الله، والله سبحانه وتعالى يحب منا أن نحسن في عبادته وأن

نحسن إلى عباده، وقال ربنا سبحانه وتعالى:{ وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (9)}[الإنسان:8،9].

وفي البخاري من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال:"- أنا وَكافلُ اليتيمِ في الجنّةِ كهاتين ، وأشارَ بأصبُعَيْهِ يعني : السّبّابةَ والوسطى.

وهذا يدل على قرب ذلك من رسول الله عليه الصلاة والسلام، على قرب منزله من رسول الله عليه الصلاة والسلام، وفرج النبي عليه الصلاة والسلام بين إصبعه شيئا ليبين أن منزلة النبوة أعظم من منزلة هذا الرجل، وإنما أراد النبي عليه الصلاة والسلام أن يبين أن ذلك الرجل من أقرب الناس إليه من تكفل باليتامى، وسعى في إصلاح حالهم وفي الإحسان إليهم، وجاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:" السّاعِي علَى الأرْمَلَةِ والمِسْكِينِ، كالمُجاهِدِ في سَبيلِ اللهِ، أوِ القائِمِ اللّيْلَ الصّائِمِ النّهارَ.

فمن يسعى في حاجة هؤلاء وفي الإحسان إليهم فهو كالمجاهد في سبيل الله، وكالذي يصلي في الليل ويقوم ليله، وكالذي يصوم نهاره وهذا فضل عظيم وليس المعنى أن الإنسان يسعى بالمسألة فيسأل لهؤلاء الناس وإنما يفعل ذلك بنفسه بجده وجهده وبماله يحسن إلى هؤلاء بماله، وينفق على هؤلاء من ماله، ويقوم لشؤونهم من ماله لا أنه يبقى يسأل الناس فلا يسأل الإنسان الناس لنفسه ولا لغيره، والذي ينبغي للعبد أن يكون متعففا ويحث الناس حثا على الخير ويرغب الناس في الخير كما أمر الله بذلك، وكما أمر بذلك نبينا الكريم عليه الصلاة والسلام، فهذه أعمال صالحات وقربات عظيمات من فعلها فقد اقتحم العقبة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يغفر لنا ذنوبنا وأن يرحمنا برحمته إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية:

الحمد لله، نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد: يقول ربنا سبحانه وتعالى {فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) }

يتيما ذا مقربة واليتيم من فقد أباه وكان دون البلوغ، فإن من بلغ فقد زال يتمه، فاليتيم ما كان قبل البلوغ وفقد أباه، وأما من فقد أمه فلا يعتبر يتيما إلا في حق الحيوان، فالحيوان من فقد أمه فهو يتيم، أما في البشر فإن من فقد أباه فهو اليتيم، فلا اقتحم العقبة وما أدراك ما العقبة فك رقبة أو إطعام في يوم ذي مسغبة يتيما ذا مقربة، ذا مقربة فإن اليتيم له شأن، فإن كان من الأقرباء فشأنه اعظم، ولهذا جاء في حديث سلمان بن عامر عن رسول الله عليه الصلاة والسلام أنه قال:"الصدقةُ على المسكينِ صدقةٌ وعلى ذي الرّحِمِ ثِنْتَانِ صدقةٌ وصِلَةٌ.

فإذا كان اليتيم من الأقرباء فتلك صدقة وصلة فهي أعظم في الأجر والثواب،

قال سبحانه وتعالى: يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربه، والمراد بذلك كما عرفنا الصدقة على المساكين، يتصدق الإنسان من ماله من كده وجهده، من ما له الذي اكتسبه من الحلال فيتصدق به أو يتصدق ببعضه وبما تيسر منه للفقراء والمساكين، وإذا كان المسكين ذا متربة فحقه أعظم والأجر والصدقة فيه أعظم والأجر فيها أكبر، والله سبحانه وتعالى يقول :{مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ

لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (245)}[البقرة:245].

فحث ربنا سبحانه وتعالى على الصدقة على الفقراء والمساكين، ورغب بهذا الترغيب العظيم فسماه سبحانه وتعالى قرضا حسنا، وابتدأ الله عز وجل الآية بالاستفهام الذي يراد به الطلب، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا ، فسماه الله سبحانه وتعالى قرضا لأن النفس تشح أن تدفع شيئا من غير مقابل، فسمى الله سبحانه وتعالى ذلك قرضا، فإن من علم أنه إذا أعطى شيئا رد إليه فإنه يتجه إلى بذله، إذا علم أنه سوف يرجع إليه فسمى الله عز وجل الصدقة على الفقراء والمساكين قرضا حسنا، وأن ذلك من قبيل القرض لرب العالمين سبحانه وتعالى، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فأنت تقرض رب العالمين، تقرض الغني الذي له ملك السماوات والأرض، فإن الشخص إذا اقرض ملكاً من ملوك الدنيا لو أن ملكاً من ملوك الدنيا طلب قرضا من شخص لبادر إلى دفع ذلك إليه لأنه يعلم أن ذلك الملك غير مماطل وسوف يرد له ما أعطى، فكيف بالقرض الذي هو لرب العالمين سبحانه وتعالى، إن أقرضت ربك فإنك فائز ولا خسران في هذا القرض، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، فالمستقرض هو رب العالمين وهو الغني سبحانه وتعالى وإنما أراد أن يحث العباد على الخيرات، من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا، ولأن الله عز وجل هو المجازي للعبد على هذا العمل فلهذا أضاف القرض إليه من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة، لا يرد لك مثل الذي أعطيت بل يضاعف لك هذا القرض أضعافاً كثيرة، في حديث أبي هريرة في الصحيحين قال النبي عليه الصلاة والسلام:"مَن تصَدّقَ بعَدْلِ تمْرَةٍ مِن كسْبٍ طيّبٍ، ولا يَقْبَلُ اللهُ إلا الطيّبَ، وإنّ اللهَ يَتَقبّلُهَا بيَمِينِهِ، ثُمّ يُرَبّيهَا لِصَاحِبِهِ، كما يُرَبّي أحَدُكُمْ فَلُوّهُ، أي الفرس الصغير، حتّى تكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ.

فمن تصدق بالشيء اليسير نماه الله عز وجل وضاعفه أضعافاً كثيرة، فإذا أقرضت الله عز وجل وتصدقت على الفقراء والمساكين فالمقترض هو رب العالمين سبحانه وتعالى، والمجازي هو رب سبحانه وتعالى، يرد كما أعطيت بأضعاف كثيرة، فهذا ترغيب من رب العالمين سبحانه وتعالى في شأن الصدقة على الفقراء والمساكين، وكل هذا من اقتحام العقبة كما في هذه الآية، ثم بين ربنا سبحانه وتعالى أنه لا يقبل إلا ممن كان مؤمنا، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك هم أصحاب الميمنة، فهذه الأعمال الصالحات لا تقبل إلا من المؤمن، فمن كان كافرا بالله عز وجل فمهما تصدق فلا يقبل منه، ومهما سارع في الخيرات فلا يقبل منه، فإن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من العبد العمل إلا إذا كان مسلما، فمن كان كافرا لا يتقبل الله منه، ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر، أوصى بعضهم بعضاً على الصبر على أقدار الله المؤلمة، الصبر على طاعة الله عز وجل، وعلى الصبر عن معصية الله عز وجل، وتواصوا بالمرحمة أوصى بعضهم بعضا بالتراحم فيما بينهم أن يرحم بعضهم بعضا، ثم بين رب العالمين سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم أصحاب الميمنة، أصحاب اليمين، هؤلاء هم أصحاب اليمين وهم عكس أصحاب الشمال، وهؤلاء هم أصحاب الجنة، وهؤلاء هم الناجون من عذاب الله، وهؤلاء هم الذين يقتحمون العقبة العظيمة، { فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ (11) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ (12) فَكُّ رَقَبَةٍ (13) أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (14) يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ (15) أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ (16) ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ (17) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ (18)}.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من هؤلاء، وأن يغفر لنا ذنوبنا

أجمعين، وأن يرحمنا برحمته، اللّهم اغفر لنا ذنوبنا كلها دقها وجلها وأولها وآخرها وعلانيتها وسرها، اللّهم نسألك العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، اللّهم ارحمنا برحمتك يا أرحم الراحمين، اللّهم إنا نسألك الجنة وما قرب إليها من قول وعمل ونعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل، ربنا ظلمنا أنفسنا ظلما كثيرا وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لنا مغفرة من عندك وارحمنا إنك أنت الغفور الرحيم، اللّهم اغفر لنا ذنوبنا وارحمنا برحمتك، اللّهم يسر على المعسرين، واقضي الدين عن المدينين، وعافي مبتلى المسلمين، واشف مرضاهم وارحم موتاهم إنك أنت الغفور الرحيم، ربنا آتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار، والحمد لله رب العالمين.

فرغها أبو عبدالله زياد المليكي